إحساناتبايات تونس لجماعاتالحنانشة1170هـ/1756م – 1192هـ/1779م

من خلال الدفترين 2145،2144بالأرشيف التونسي

أ.توفيق بن زردة

جامعة العربي بن مهيدي– أم البواقي–

ملخص:

يعد السجلان الإداريانرقم 2144، 2145 الموجودان بالأرشيف الوطني التونسي أحد أهم حلقات الأرصدة التاريخية التي تكشف عن واقع العلاقات الجزائرية التونسية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي من خلال قوائم طويلة بالهدايا التي جاءت بمسمى إحسانات، كان يقوم كل من بايي تونس محمد (1170هـ/1756–1172هـ/1759م) ومن بعده علي باي (1172هـ/1759م– 1196هـ/ 1782م) بتوزيعها على جماعات الحنانشة التي كان يمتد نفوذها على أطراف الايالتين.

لقد أخذت هذه الإحسانات طابع العرف الديبلوماسي الذي درج عليه بايات تونس في تعاملاتهم مع هذه الجماعات الحدودية، قصد إذهاب الخطر واستجلاب المودة معها، وإشعارا بالتقدير والاحترام لها، وإثباتا للتحالف مع شيوخها، وإن كان عنصر التفرقة بين فرعي مشيختها نصر ومنصر بدا واضحا في حجم توزيع هذه الإحسانات بين الفرعين، حيث كان في هذه المرحلة نصيب فرع نصر وشيخه ابراهيم ابن بوعزيز أوفر من فرع منصر وشيخه محمد بن سلطان، لذلك شكلت قيم هذه الإحسانات مؤشرا قويا نقيس به حجم علاقات بايات تونس مع أحد الفرعين هل هي في فتور أم في أوج صلاتها ؟.

كما أكد الدفتران على ذلك الحراك الاجتماعي الذي كان قائما بين الايالتين من خلال تردد فئات الحنانشة على تونس قصد تلبية حاجياتهم مثل العلاج، واقتناء بعض المستلزمات، والقيام بزيارات لبعض الأضرحة، مما جعل من هذه الجماعات بحكم بعدها الجغرافي ووضعها الحدودي عامل توافق اجتماعي بين الجزائر وتونس خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي.

Summary:

The Registered administrators No. 2144.2145 present Tunisian National Archives, one of the most historical balances that reveal the reality of the Algerian Tunisian relations in the second half of the eighteenth century AD through long lists of gifts that came under the name of mercies rings, he performed all of the Bey Tunisia Mohamed (1170 AH / 1756-1172h / 1759) and later on the Bay (1172 AH / 1759 m- 1196 AH / 1782 AD) Hanancha distributed to groups that had extended their influence on the

parties regency. I have taken these charities character diplomatic custom practice Bayat Tunisia in their dealings with these border communities, in order to Azhab danger and bring affection with her, and a notice of appreciation and respect for her, and proof of an alliance with the elders, though an element of discrimination between Nasr Msheechtha sub and evangelized became apparent in the size distribution these charities between branches, where he was at this stage share Nasr branch sheikh Ibrahim son Bouaziz cheaper than evangelized branch sheikh Mohammed bin Sultan, so formed the values of these charities strong indicator we measure the size of Bey Tunisia's relations with one branch is it half-heartedly, or at the height of its links ?. Notebooks he also stressed the social mobility that existed between regency through frequency Hanancha categories to Tunisia in order to meet their needs such as treatment, and the acquisition of some supplies, and visits to some of the shrines, which makes these groups by virtue beyond geographical and put border social consensus between Algeria and Tunisia factor during the second half of the eighteenth century.

توطئة :

إن البحث في موضوع العلاقات الجزائرية التونسية في العهد العثماني هو من الأهمية بمكان خاصة في ظل وجود كم هائل من الوثائق التي تتوزع على دور الأرشيف الوطنية والأجنبية، هذه الوثائق التي بدأت تجد طريقها للنشر في بعض الجامعات، حيث صدر مؤخرا عن منشورات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية – قسنطينة – ضمن سلسلة أدوات البحث والبيبليوغرافيا" كشاف تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي " للباحث خليفة حماش الذي رتب في هذا العمل ما توفر من رصيد تاريخ الجزائر الحديث في الأرشيف الوطني التونسي، حيث كانت الدفاتر الإدارية والجبائية، ضمن ثنايا هذا الكشاف[1]

والواقع أن الأستاذ حماش وقبل أن يصدر له هذا العمل، كان قد سلمنا نحن طلبة السنة أولى ماجستير (تخصص العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية ودول المغرب الكبير) سنة 1433هـ/ 2012م نسخة أولية منه، حيث تسنى لي وقتها أخذ فكرة عن فحوى هذه الدفاتر، التي جاءت مفصلة حول رصيد تاريخ الجزائر، مقارنة بما نشره المنصف الفخاخ في كشافه[2].

[1]-خليفة حماش، كشاف تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي، منشورات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، سلسلة أدوات البحث والبيبليوغرافيا(2)، مطبعة اقرأ، قسنطينة، 2013.

[2]- يعد المنصف الفخاخ الذي تولى منصب مدير الأرشيف الوطني التونسي أول من اشتغل على هذه الدفاتر كمادة أرشيفية عمل على جردها وتلخيص محتواها، ثم تقديمها في شكل كشاف للباحثين، وكان عمله هذا الذي نال به درجة الدكتوراه موسوم بـ " موجز الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشيف الوطني التونسي"، وقد بلغ عدد الدفاتر به 4065 دفترا، وما تميز به هذا الكشاف، هو تقديمه فقط لعناوين عامة تخص كل دفتر، للمزيد من التفاصيل يرجى الرجوع إلى :

هذا وقد شكلت هذه الدفاتر واحدة من الأرصدة الأرشيفية التي اعتمدت عليها في بناء موضوع مذكرة ماجستير موسوم بـ"الكنفدراليات القبلية الحدودية ودورها في العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني –الحنانشةأنموذجا – "إشراف الأستاذ علاوة عمارة[1]، ونضرا للأهمية التي لمستها فيما تعاملت معه من دفاتر[2] وما تثيره من مواضيع عدة، ارتأيت في هذا البحث الخوض في أحد أهم المسائل الجوهرية التي جاءت بين ثناياالدفترين رقم 2144و 2145، وهي الهدايا التي كان يوزعها بايات تونس بشكل دوري على الجماعات التي كانت تعيش بالتراب الجزائري وبالأخص جماعات الحنانشةالحدودية، هذه الهدايا التي جاءت بمسمى "إحسانات".

قد يبدو من الوهلة الأولى أن موضوع الإحسانات هو في النهاية تقليد ديبلوماسي لأية سلطة حاكمة، بما فيها بايات تونس في تعاملاتهممع ما يتوزع من حولهم من جماعات وبلدان وأوطان، لكن ما أفرده الدفتران الإداريان رقم 2144و 2145من مادة علمية، أكدا على وجود علاقاتملفتةللسلطة الحاكمة في تونس مع أحد أهم الجماعات الحدودية وهي جماعات الحنانشة.

وهو ما يفيد بأن هذه الإحسانات أخذت وجهة انطلقت من السلطة نحو الرعية، بعكس العرف السائد في التعامل الرأسي الذي يكون بين سلطتين حاكمتين أو أكثر، إذا فما الدافع وراء اهتمام البلاط التونسي بجماعات الحنانشة، بحيث أصبحتالإحساناتعنوانا لهذه الصلة الملفتة ؟ هل ارتقت هذه الإحسانات إلى التقليد الديبلوماسي، كونها جماعات نافذة على أطراف الإيالتين ؟ أم أنها تعاملات ظرفية فرضتها أوضاع معينة قصد استجلاب المودة وتقييدتهديدات متوقعةأو ترتيب توازنات سياسية وجغرافية على الحدود الجزائرية التونسية؟ هل أسس هذا النوع من المعاملات لشبكة من العلاقات الاجتماعية؟كلها أسئلة سنحاول الإجابة عنها في هذا البحث.

الدفتران الإداريان والجبائيان رقم 2145،2144:

الدفتر رقم 2144:

أطوال الدفتر هي :47 سم X19سم، مجلدوحالته جيدة من الخارج، وكذلك أوراقه من الداخل التي يبدو أنها قاومت عوامل الزمن عبر القرون، يبدأ الترقيم الأصلي للصفحات من الرقم 41، وهو ما يرجح على أنه

المنصف الفخاخ، موجز الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشيف الوطني التونسي، منشورات الأرشيف الوطني التونسي، تونس، 1990

[1]-توفيق بن زردة، الكنفدراليات القبلية الحدودية ودورها في العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني – الحنانشةأنموذجا – مذكرة مكملة لنيل درة الماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2013- 2014

[2]- الدفاتر الإدارية والجبائية التي تعاملت معها أرقامها كالتالي : 01، 1769، 2070، 2144، 2145

جاء مكملا لدفتر قبله، فيمااعتمد ترقيم تسلسلي جديد للدفتر بقلم الرصاص يبدأ بالرقم 01 الذي يقابله رقم 41 في الترقيم الأصلي، وجاء الترقيم الجديد في أسفل الصفحة عكس الترقيم الأصلي الذي جاء في أعلاها، فيما نجد تسلسل الصفحات سواء الأصلية أو الغير أصلية نجدها فقط على أوراق الدفتر المدون عليها، أما الأوراق البيضاء فعددها كان كثيرا تخلل الورقات المكتوبة وجاءت لتعبر على ذلك الانقطاع في التدوين بحيث لم تكن تشكل صفحات من الدفتر، وقد اكتشفنا أن خطأ قد وقع في ترقيم الصفحات بقلم الرصاص، حيث انتقل رقم الصفحات من الرقم 231 مباشرة إلى الرقم 241، بدلا من 232، وهو ما يجعل اجمالي صفحاته المدونة 376 صفحة، عكس ما قال به المنصف الفخاخ وهو 386 صفحة[1].

كتب الدفتر بخط مغربي في عمومه مقروء عدا في بعض المواطن، أين تعسر علينا فك بعض الرموز، لمحدودية خبرتنا في التعامل مع هذا النوع من الخطوط، وأيضا لأن تقييده تولاه أكثر من طرف مما جعل بعض نماذجه تميل إلى التعقيد أكثر منها إلى الوضوح، ولم يكن الدفتر على أهميته الإدارية في ذلك العهد يخلو من الأخطاء النحوية والتراكيب اللغوية السليمة، بل سجلنا حلات استعملت فيها حتى العامية[2]،وقد أوعز المنصف الفخاخ ذلك إلى " ضعف المستوى الثقافي للموظفين آنذاك منهم من المماليك الذين نشئوا في خدمة البايات ولم تكن لهم ثقافة كافية، هذا فضلا عن استخدام الأجانب واليهود وخاصة منهم أصيلي ليفورن(Livourne) في مصالح الحسابات المالية[3] .

لم يفصح الدفتر عن مكنونه من خلال مقدمة غابت عن صفحاته الأولى، بل يستشف موضوعه من لفظ " إحسان " وبالجمع "إحسانات" التي ترددت في جل صفحاته كعناوين رئيسية،وهو ما يجعل من موضوع الدفتر هو " **الإحســـان** "[4].مع التأكيد على تسجيلنا لحالات جاءت بمسمى " الخارج" وأخرى بمسمى " هدية" أو " معروف" ،كما وقفنا على عينة فريدة جاءت بمسمى " صدقة " هي " صدقة للشيخ ابراهيم الخنقي" نسبة إلى خنقة سيدي ناجي، وقد يكون هذا التنوع في استعمال المسميات إحسان، هدية، معروف، صدقة، الخارج –وإن طغى عليها مسمى إحسان– دافعه حرص بايات تونس في نسج شبكة من العلاقات بعناوين " ديبلوماسية " أكثر تنوعا.

هذا ويغطي الدفتر الفترة الممتدة مابين1170هـ/1756م –1192هـ/1779م ، به بيان بالإحسانات التي جاء جلها في شكل مبالغ مالية بالريال التونسي كان قد وزعاها ولدي مؤسس حكم الأسرة الحسينية بتونس حسين بن علي 1116هـ/ 1705–1152 هـ/ 1740م وهما محمد باي (1170هـ/1756م– 1172هـ/ 1759م)

---

[1]-المنصف الفخاخ، المرجع السابق، ص، 284

[2]- هي كثيرة مثل " قزازات عطر" وغيرها.

[3]- المنصف الفخاخ، المرجع السابق، ص، 27

[4] - وردت في الدفتر حالة استثنائية من الصفحة359-362، تتحدث عما خرج من رواتب .

ومن بعده علي باي (1172هـ/1759م –1196هـ/1782م)[1] وزعاها على سكان سائر البلاد التونسية وبعض الزوايا كالزاوية الشابية، والبلدان المجاورة مثل الجزائر، إضافة إلى القبائل التي عاشت على الحدود الجزائرية التونسية أهمها جماعات الحنانشة والمجموعات القبلية التي كانت تحت سلطة مشيختها مثل الزغالمة وأولاد بوغانم التي عاشت على التراب التونسي والنمامشة، وقرفة، وأولاد سيدي يحي بن طالب الذين عاشوا على التراب الجزائري .

هذا وأكد الدفتر على ذلك الانقسام الذي شهدته الحنانشة في مشيختها بعد وفاة خالد الصغير (شارك في ثورة ضد الأتراك عام 1048هـ/1638م) والذي سنشير إليه لاحقا، حيث غطت الصفحات من 210 إلى 220الإحسانات التي وزعت على فرع نصر وجاءت بمسمى " حنانشة ابراهيم " والصفحات من 221 إلى 224الإحسانات التي وزعت على فرع منصر وجاءت بمسمى" حنانشة محمد بن سلطان ".

الدفتر رقم 2145:

حجم الدفتر هو 44x16 سم عدد صفحاته 291 صفحة مرقمة ترقيم أصلي، أما عن نوع الخط ومقروئيته والأخطاء الواردة فيه، فهو بنفس الملاحظات التي أتينا على ذكرها في الدفتر السالف، جاء في مقدمته مايلي" برنامج الدفتر المبارك: إن شاء الله تعالى المشتمل ما احتوت عليه أزمة بيت خزنة دار خاص بالإحسانات الحسنة والعوائد المستحسنة والصدقات السنية المدخرة إن شاء الله في كنوز حسانات مولانا ومحل جدوانا صاحب أمرها وصاحب سعادتنا، بعين الخيرات ومجري الصدقات ذو الحلم المشهور ولواء العدل المنشور الحامي لوطننا افريقية وساير الثغور المعظم والأسد الضرغام سيدنا ومولانا الباشا علي باي بن حسين باي أيد الله سلطانه وحمدناه بحسن سيرته....وتبين كل ذلك على ترتيب السنين أولها سنة 1181هـ ..."[2].

الدفتر يغطي الفترة الممتدة مابين1191هـ/1777م –1778م، و1197هـ/1782م– 1783م، وبه بيان لما

---

[1]- ظهر خلاف بين حسين بن علي وابن أخيه علي، سببه أن حسين بن علي الذي لم يكن له حينها أبناء فعين ابن أخيه علي وليا للعهد، لكن حسين وبعد أن رزق بأولاد تراجع عن قراره الأول وفضل تقديم ابنه الأكبر محمد الذي ولد سنة1122 هـ/ 1711م وليا للعهد، وحاول ارضاء ابن أخيه بمنحهلقب الباشا ، لكن علي باشا غضب من عدول عمه عن قراره، ودخل الطرفان في صراع أجج من الانقسام داخل تونس من خلال بروز تيارين: باشي موالي لعلي باشا و حسيني موالي لحسين بن علي، وزاد الشرخ بعد الحروب المتواصلة التي انتهت بانتصار حسين بن علي أواخر سنة1141 هـ/ 1728م ، فلجأ علي باشا إلى الجزائر واستقر بها إلى حدود سنة1148هـ/ 1735م ، وهي السنة التي انتصر فيها علي باشا على عمه واستولى على الحكم، بعد أن وجه ضده حملة عسكرية بدعم من قوات الأتراك بالجزائر، ولم تنتهي الحروب بينهما إلا بقتل علي باشا لعمه سنة 1153هـ / 1740م ، والتجأ أبناء حسين بن علي إلى الجزائر، فيما أصبحت علاقات علي باشا مع أتراك الجزائر متوترة بعد أن توقف عن دفع الإتاوة السنوية منذ سنة1158هـ/ 1745م ، مما دفع بأتراك الجزائر إلى توجيه حملتين ضده الأولى سنة1159هـ/ 1746م ، كان مآلها الفشل والثانية سنة 1169هـ/ 1756م انتهت باحتلال مدينة تونس وقتل علي باشا، الذي نصب محله محمد بن حسين بن علي (1170هـ/ 1756م– 1172هـ/ 1759م)، ومن بعده أخوه علي باي (1172هـ/ 1759م – 1196هـ/ 1782م) الذين اعترفا بسيادة الجزائر على تونس مستأنفين دفع الإتاوة السنوية .

[2]- الدفتر الإداري والجبائي رقم 2145، الأرشيف الوطني التونسي(أ. و. ت).

احتوت عليه دفاتر خزندار من الإحسان والصدقات " العوائد " لفائدة موطن المشرق مثل المدينة المنورة ومكة ومصر، وموطن الترك مثل اسطنبول وأزمير وموطن طرابلس مثل مدينة طرابلس، وتونس التي وردت بموطن دار الجهاد افريقية مثل جربة وصفاقصوالقيروان وزغوان وغيرها وموطن الكاف مثل شارن وخمامسةوالزغالمة، وموطن الجريد مثل نفطة وتوزر ونفزاوة وأولاد سيدي تليل، وسيدي علي بن عون وغيرهم، وموطن الجزائر مثل الحنانشة، وأولاد سي يحي بن طالب وقرفة والتيطري وتلمسان ومستغانم والجزائر ومتيجة وموطن الزاب مثل بسكرة وسيدي عقبة وأولاد صولة[1].

الحنانشة المجالو النشأة:

عاشت جماعاتالحنانشة على الحدود الجزائرية التونسية، هذه الحدود التي ارتسمت معالمها بعد الاتفاقية التي أبرمت بين الجزائر وتونس سنة1037هـ/1628م، حيث أفضت إلى ضبط الفضاء الجغرافي والقاعدة البشرية التي تمارس عليها كل إيالة سلطتها[2].

وباتت الحنانشة أمام هذا الوضع يتقاسم امتدادها أراضي تحسب على إيالة الجزائر وأخرى تحسب على إيالة تونس، فما كان من غرب وادي سيراط[3]الذي يقع في عمق هذه الجماعات فهو لإيالة الجزائر وما كان من شرقه فهو لإيالة تونس.وينقل لنا الرحالة الانجليزي طوماسشو(Thomas Shaw) في النصف الأول من القرن الـ18 م صورة عن موقع الحنانشة التي كانتمن ضمن محطات رحلته فيذكر أنها تمتد شمالا إلى وادي الحميز وجنوبا إلى وادي مسكانة ضواحي تبسة[4]وعلى امتداد أربعة فراسخ[5]غربي وادي سيراط[6].

بدأ ميلاد الحنانشةيأخذ شكله منذ امتزاج قبائل سليم بهوارة[7]وقد وردت عدةإشارات في بداية القرن السادس عشر ميلادي تتحدث عن هذه الجماعاتكقوى مهيمنة على ما سيعرف لاحقا بالحدود الجزائرية التونسية فـ "مارمول" يذكر أن مولاي الحسن السلطان الحفصي أنشأ قصرا بقسنطينة ليلجم من هناك السكان العرب و هم أسياد الريف القسنطيني الذين هم أكثر شجاعة والأكثر شهرة بإفريقيةويسمون أولاد

---

[1]- المصدر نفسه.

[2] - الدفتر الإداري والجبائي رقم 2847،(أ.و.ت).

[3]- وادي سيراط ينبع ضواحي تبسة وهو يفصل الحنانشة عن النمامشة، يرجى الرجوع إلى :

Thomas Shaw, *Voyage dans la régence d'Alger au 18e siècle* .Traduit de l'anglais par E.MacCarthy.1830 , grand Alger livres. Alger.2006.p.208

[4]-T.Shaw,*op.cit*.,p.180

[5]- الفرسخ يساوي4.8 كلم، ويساويفي المقابل03ميل.

[6] -T.Shaw,*op.cit*.,p.,182.

[7]- عبد الرحمان ابن خلدون،كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت،1979، مج.06.،ص.142.

حناش[1]. وعند مجيئ خير الدين بربروس إلى تونس عام940هـ/1534م في ظرف كان فيه الصراع محتدما بين الأخوين رشيد والحسن على عرش تونسالحفصية، حيث طلب رشيد النصرة من القسطنطينية ضد أخيه الذي سلبه العرش،وجاء خير الدين الذي فتح له التونسيون الأبواب[2]، معتمدا في تحقيق هذه المهمة على الجماعات الريفية، على رأسها الحنانشة التي بعث لشيخها ببرنوس قصد كسب وده، إضافة إلى مقابل مادي معتبر قدر بـ 30ألف دوسة في حالة تمكنهم من القبض على السلطان الحسن[3].

أما في صيف من عام941هـ/1535م وبعد حملة ملك إسبانيا شارلكان(Charles-Quint)على تونس وعند عودته أرسل قسما من أسطوله للاستيلاء على مدينة عنابة، التي ترك بها قوات تحت قيادة دون ألفار قوميزكال(Don Alvar Gomez Zagal)، الذي دخل فيعلاقات مع السكان المستقرين بضواحيها،حيث تمكن من جمع الكثير من المعلومات حولهم،وفي أحد التقارير التي أرسلها إلى الإمبراطور شارلكان(Charles-Quint)بتاريخ06 رجب942هـ/13سبتمبر 1535م ذكر فيه أنه جمعه لقاء بعبد الله شيخ مرداس واحد من الشيوخ ذوي النفوذ في جماعاتالحنانشة الكبيرة[4].

امتداد في الجزائر ونفوذ نحو تونس :

استطاعت الحنانشة أن تجمع من حولها الكثير من القبائل التي عاشت على أطراف الجزائر وتونس خاصة وأن انتساب القبائل إلى غير أصولها ميزة غدت تطبع بلاد المغرب منذ وفود الهلاليين إلى المنطقة فانضمت قبائل بسبب ضعفها وأخرى خضعت بقوة السلاح، لتشكل الحنانشة في النهاية قوى محلية بامتداد في الجزائر ونفوذ نحو تونس، فقد عثرت في الأرشيف الوطني التونسي ضمن كراساته على وثيقة أشارت إلى بعض الفصائل القبلية المكونةلجماعاتالحنانشة وتعود هذه الوثيقة إلى سنة1035هـ/1626م،وهي عبارة عن حجة عدلية من أعيان «**أرق**[5]» ضواحي تبسةالذين كانوا تحت نفوذ الحنانشة[6]، ولا بأس أن نشير في هذا الصدد إلى بعض ما جاء فيها «...الحمد لله حضر لمن يشهد بعد جماعة من أعيان البلد المعروف بأرق

---

[1]- مارمولكاربخال شارك في حملة شارلكان ضد تونس سنة942هـ/1535موبعد مغادرة الأسطول الإمبراطوري لتونس بقي مارمول في شمال إفريقيا في مهمة كلفه بها شارلكان وطال مقامه في هذه البلاد22سنة .

[2]- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام ، المكتبة العتيقة،تونس،1961،ص.ص.171-173

[3] -L.Ch . Féraud, .,«*les Harar seigneurs des Hanencha*» ,Revue Africaine ,18,(1874),p.136

[4]-L.Ch . Féraud.*op.cit*.,p.139

[5]- حافظة212ملف 229،وثيقة رقم17،(أ. و. ت).

[6]- الباحثة التونسيةفاطمة بن سليمان، في رسالتها للدكتوراه الموسومة بـ "الإيالة التونسية والبناء الترابي أوتكون الهوية الترابية" ،ص102 أكدت على أن قلعة أرق هي نفسها قلعة سنان، ولا نعلم كيف جعلت من المكانيين مكان واحد، فقلعة أرق أو أرقو تعرف بسرايا عبد الصمد الشابي وهي تقع ضواحي تبسة، بينما قلعة سنان تلك الجبال المعزولة التي تنتهي بسطح مستوي، والتي اتخذ منها شيوخ الحنانشة مقرا لسلطتهم فهي تقع في مجال قبيلة أولاد بوغانم في التراب التونسي، وحول الموضوع يرجى الرجوع إلى :

– علي الشابي، تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني، دار نقوش عربية، تونس، 2015، ص، 459.

ومن رؤسائهم المكرم الفقيه القارئ سيدي مبارك بن عبد الله البباري، وأخوه سيدي محمد بن عبد الله والمكرم عبيد بن سعد الغلوسي ...وكلهم من قبيل الغلالسة، والمكرم الفقير نصر بن بدية البباري، والمكرم الفقير محمد بن عبد الله ...وكلهم من قبيل أهل بابار، ... والمكرم علية بن محمد، والمكرم محمد بن عبد الله ...وكلهم من قبيل أهل الجرف، والمكرم حسن بن جربوع، والمكرم إسماعيل بن يوسف ...وكلهم من قبيل ابن واشكون والمكرم سعد بن علي، والمكرم معيوف ...وكلهم من قبيل أهل الجديرة والمكرم ضيف الله بن منصور، والمكرم إبراهيم بن وديان ...وكلهم من قبيل أهل يزليتن[1]والمكرم ضيف الله ابن أبي الفضل والمكرم محمد بن أبي الهادي ...وكلهم من قبيل سيدي عبيد، والمكرم عمر بن نصير ..وكلهم من قبيل دريد ...»[2].

قدم لنا بدوره أحد الدفاتر الإدارية والجبائية أسماء بأهم القبائل الحدودية التي عاشت في مجال الحنانشة فوردت أسماء كل من الزغالمة وأولاد بوغانم والغرابة وطانة افريقية وقلعة سنان وأولاد سيدي يحي بن طالب وقرفة وزاوية الشابيةوالنمامشة[3]وفي مصادر أخرى وردت كل من الخمير وبني مازن وأولاد علي ووشتاتة وأولاد سديرة وويلان[4]وأولاد خيار[5]والحراكتة وأولاد ضحية[6]والناظور ومهونةوالنبايل بضواحي قالمة والأوراس الشرقيوتبسةوورغة وشارن وأولاد بوغناموالفراشيش وكامل الجنوب من الزيبان حتى نفطة بالتراب التونسي[7].إن كل هذه المجموعات القبيلة الواردة سلفا، تؤكد أن الحنانشةكانت ذات وعاء اجتماعي اتسعلمجموعات مختلفةالأصول متنوعة الأوطان، فمنها من عاشت على تراب الشرق الجزائري وأخرى بغرب التراب التونسي .

توارثت أسرة أحرار الحنانشة المشيخة لثلاثة قرون من حكم الأتراك للجزائر، حاولوا خلالها صون هذا المكسب وسط الأسر والقبائل التي كانت تحت سلطتهم، وإن كان ابن خلدون قد أكد على أن هذا النوع من المكاسب (المشيخة) إنما يتأتى بقوة عصب وسط الأعصاب الأخرى[8].

---

[1]- يؤكد الباحث التونسي عبد الحميد هنية أن بني يزليطن هم إحدى المجموعات المستقرة بمجال الحنانشة وفي إطار البحث عن أصولهم وجد أنها قد تكون منحدرة من يزليطنبطرابلس،يرجى الرجوع إلى :

كراسات الأرشيف،وثائق من القرنين السادس عشر والسابع عشر،الأرشيف الوطني التونسي،2009 ، ص.11

[2]- حافظة 212 ملف 229 وثيقة رقم 17،(أ. و. ت).

[3]- الدفتر الإداري والجبائي :رقم 2144،(أ. و. ت).

[4] -Procès- verbaux du Sénatus Consulte, Historique de la tribu,Tribu Ouillen,,179,(15 décembre 1869), direction régional du cadastre, Constantine.(D.R.C.C)

[5] -Procès- verbaux du Sénatus Consulte, Historique de la tribu,TribuOuledKhiar,220(25 mars 1868), .(D.R.C.C)

[6]-Procès- verbaux du Sénatus Consulte, Historique de la tribu, Tribu OuledDhia.,238(15 février 1890),D.R.C.C.

[7]-L.Ch. Féraud, *op.cit.*,p.22

[8]- عبد الرحمان ابن خلدون،مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية،بيروت، دت،ص.122

لكن هذه المشيخة شهدت شرخا بعد وفاة الشيخ خالد الصغير (شارك في ثورة ضد الأتراك عام 1638م) الذي ترك ولديه الابن البكر نصر والابن الأصغر منصر، هذا الأخير الذي أعترف به الأتراك كشيخ على الحنانشة بدلا من أخيه الأكبر،ليكون هذا الحدث بداية لتفكك مشيخة الحنانشة إلى فرعين متنافسين فرع الابن البكر **نْصَرْ** وفرع الابن الأصغر **مَنْصَرْ**، واستغل بايات قسنطينة وبايات تونس هذا الانقسام ليحاول كل طرف أن يجعل من أحد الفرعين حليفا له ضد الفرع الآخر[1]فقد حدثنا القيرواني(ت. 1091هـ/1698م) أنه سنة1085هـ/1675موبعد وفاة مراد باي تونس نشب الصراع بين ولديه "محمد" و"علي" على حكم تونس فلجأ محمد إلى الشيخ المرداسي بن الصغير من فرع نصر في المقابل لجأ أخاه علي إلى سلطان بن منصر ليدخل الطرفان في صراع طويل أجج الانقسام داخل الحنانشة[2].

لكن رغم الانقسام الذي شهدته مشيختها، إلا أن أحرار الحنانشةاهتموا بصون " مؤسسة الشيخ"ويظهر ذلك جليا من خلال الأسماء الطويلة لخدم وحاشية كل فرع التي جاءت في أحد المصادر نقتطف بعضا منهم في هذا الجدول.

جدول رقم–01–فرعا حنانشة إبراهيم ومحمد بن سلطان مع بعض موظفيهم[3]

حنانشة إبراهيم		حنانشة محمد بن سلطان	
اسم الشخص	**الوظيفة أو الصفة**	**اسم الشخص**	**الوظيفة أو الصفة**
عمر بن بوزيان	كاتب	الموهوب بن محمد بن سلطان	ممثل الشيخ عند باي تونس
الشيخ ابراهيم	سايس	سعيد	كاتب
السعيد بوزيان	كاتب	نصر بن علي	سيار
العطافي	من الحاشية	أحمد المناعي	كاتب
علي بن بهلول	سيار	محمد بن عبد الرحمان	سيار

بعد مقتل رجب شيخ الحنانشة من فرع منصر سنة1168هـ/1755م تولى مشيخة الحنانشة من بعده كل من محمد من فرع منصر ثم إبراهيم من فرع نصر، وعن محمد هو الشيخ العاشر في مشيخة الحنانشة والده سلطان ابن عمار الذي تزوج باي تونس علي باشا ابنته عام1140هـ/1728م، ثم قتله بعدها رفقة أخيه

[1]-L.Ch. Féraud, *op.cit.,*p.203

[2]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص، ص، 242-259

[3]- الدفتر الإداري والجبائي :رقم2144،(أ. و. ت).

أحمد الصغير، كما أن جد والده الذي يسمى أيضا سلطان زوج ابنته لعلي باي تونس عام 1035هـ/1626م، أما ابراهيم من فرع نصر هو الشيخ الرابع عشر للحنانشة والده من أشهر شيوخ الحنانشة وهو بوعزيز الذي قتله علي باشا باي تونس عام1151هـ/1739م[1]، ويؤكد الدفتر الجبائي رقم 2144 أن إبراهيم منذ عام 1187هـ/1773م أصبح يدعى بـ « بوحفص » كنية لمولوده الجديد بوحفص الذي سيتصير شيخا على الحنانشة من بعد والده الذي توفي وهو معتقل بقسنطينة عام1186هـ/ 1772م. هذا وتزامن حكم كل من محمد باي تونس (1170هـ/1756-1172هـ/1759م) ومن بعده علي باي (1172هـ/1759م-1196هـ/ 1782م) لسلطة الشيخين محمد بن سلطان وابراهيم ابن بوعزيز على الحنانشة اللذين كانا لهما الحظ في استقبال هذه الإحسانات[2].

من أوجه العلاقات الإحسانات:

يظهر أن الهدية التي جاءت بمسمى إحسانات قد شكلت تقليدا دأب عليه بايات تونس في تعاملاتهم مع مختلف الأوطان والقبائل التي تعيش من حولهم، حيث يقدم لنا الدفتر 2145صورة قريبة من واقع هذه الإحسانات من حيث و جهتها و قيمتها، فعن وجهتها فقد تعددت الأوطان التي استقبلت هذه الإحسانات حيث كان عددها عشرة أوطان توزعت إلى حيزين جغرافيين رئيسيين : 01- أوطان داخل إيالة تونس 02- أوطان خارج إيالة تونس، والجدول التالي يفصل في توزيع هذه الأوطان:

جدول رقم – 02 – توزيع الاحسان حسب الأوطان1191هـ/1777م –1778م[3]

أوطان داخل ايالة تونس	أوطان خارج ايالة تونس
موطن دار الجهاد افريقية	موطن المشرق
موطن الكاف	موطن الترك
موطن الجريد	موطن طرابلس
/	موطن الجزاير
/	الغرب الجوابي
/	السودان
/	موطن طرابلس

[1] -L.Ch. Féraud, *op.cit.,*pp., 394,395

[2]- عبد الحميد هنية، تونس العثمانية، بناء الدولة والمجال، منشورات تبر الزمان، تونس2012، ص، 255.

[3]- الدفتر الإداري والجبائي رقم2145، (أ. و .ت) .

يظهر من خلال الجدول أن الأوطان التي شملها إحسان الباياتكان خارج الإيالة أكثر منه داخلها حيث ثلاثة منها في الداخل وسبعة في الخارج، وهو ما يؤشر على حرص السلطة في تمتين علاقاتها مع الفضاء الخارجي، وللتأكد من ذلك كون عدد الأوطان لا يجزم بقطية هذا المؤشر، حاولنا التعامل هذه المرة مع القيم من خلال المقارنة بين مجموعها في الداخل والخارج، فكانت النتيجة بأن مجموع الإحسان الذي وجه للخارج قدر بـ 10398ريال، وللداخل قدر بـ8363ريال، أي بفارق بـ 2035 ريال هذا المبلغ الذي شكل نسبة 10.84% من المجموع العام للإحسان[1].

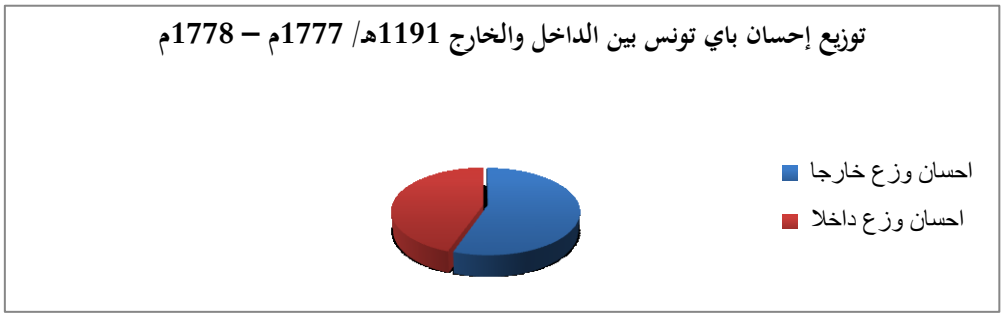

هذا وأكدت الإحصائياتأن موطن الجزائر كان نصيبه من الإحسان أكبر من المواطن الأخرى حيث جاء ترتيبها كالتالي: 1- موطن الجزائربـ : 4883 ريال 02- موطن السودان : 1944 ريال 03- الغرب (المغرب الأقصى) : 233 ريال 04- موطن المشرق: 110 ريال 05- موطن الترك: 100 ريال 06- موطن طرابلس: 84 ريال[2].

لقد شكل نصيب إحسان الجزائر نسبة 46.96%من مجموع الإحسان الذي وزع في الخارج، وهو نصيب معتبر يؤكد التزام بايات تونس في صون خط سير علاقتهم مع الجزائر، خاصة في ظل نظرة التبعية التي بقيت تلازمهم نحو الجزائر، حيث كانوا يدفعون سنوياآلاف الريالات لداي الجزائر[3].

لقد مس الإحسان الذي وزع في الجزائر مختلف المدن والمجموعات القبلية، فعن المدن وردت كل من: تبسة، قسنطينة، عنابة والقل وبجاية وسكيكدة، وتلمسان، ومعسكر، ومستغانم، ومدينة الجزائر، أما المجموعات القبلية فجاءت الحنانشة، وأولاد سيدي يحي بن طالب، وقرفة، و أولاد عيسى، وأولاد بورنان، وغيرهم ممن شملهم الإحسان، وللتأكد من مدى اهتمام السلطة في تونس بهذه الجماعاتعلى رأسها الحنانشة

[1]- المصدر نفسه.

[2] - الدفتر الجبائي :رقم 2145،(أ. و. ت).

[3]- عبد الحميد هنية، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال، تبر الزمان، تونس2012، ص، 194.

كقوى حدودية حاولنا تبيان نصيبها من الإحسان مقارنة بالجماعات الأخرى والأعمدة البيانية التالية تلخص ما توصلنا إليه من نتائج :

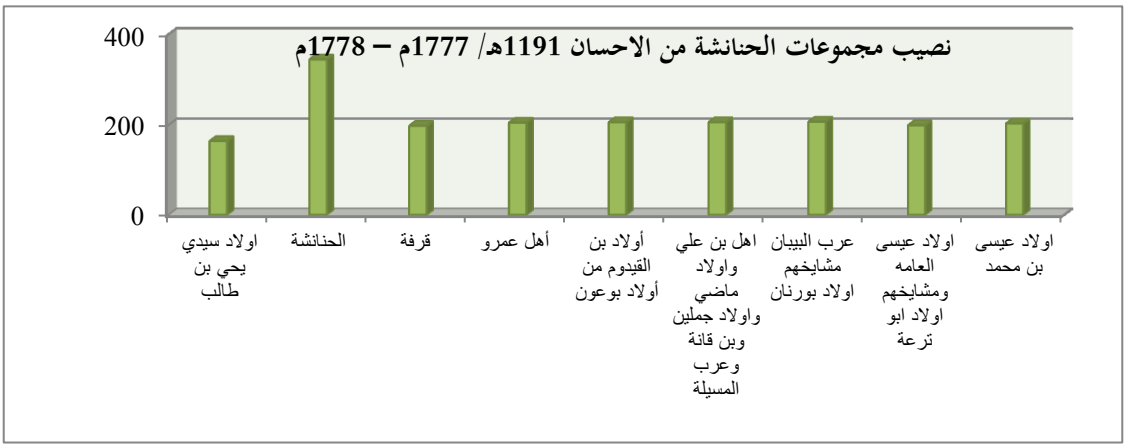

يتبين من خلال قائمة المجموعات القبلية التي وردت في الأعمدة البيانية أن أغلبها عاش على الحدود الجزائرية التونسية أهمها الحنانشة، وأولاد سيدي يحي بن طالب، وقرفة، وأولاد عيسى، وأولاد بن القيدوم من أولاد بوعون، فيما يتبين أن الحنانشة استقبلت النصيب الأوفر من الإحسان، الذي بلغ قيمة 345 ريال، أي بنسبة 17.84%من مجموع الإحسان العام المقدر بـ 1933 ريال.

في الواقع هناك عوامل شتى كانت وراء تفرد الحنانشة باهتمام بايات تونس دون غيرهم، فقد أجمعت جل الكتابات التي توزعت بين المصادر والدراسات الحديثةعلى أهمية الدور الجيوسياسي والاقتصادي لهذه المجموعات على أطراف الإيالتين، وما أفرزه هذا الدور من حركية على طول الحدود وفي عمق الإيالتين فكتب ابن ابي دينار (ت. 1091هـ/1698م) يقول عن أحد شيوخها وهو خالد الصغير بن نصر الذي شارك في ثورة سنة 1048هـ/1638م ضد أتراك الجزائر[1]"كان خالد المذكور أشهرهم سمعة بين قبائل العرب وله منعة وعدة وقائع مع عسكر الجزائر عمر عمرا طويلا ومارس الحروب وكان يتشامخ بأنفته على العمالة التونسية ويمتد في وطنها لأنه مجاور لها ويتعرض إلى محلتهم فيستكفون شره ويهادنونه بالهدايا"[2].أما الرحالةبايصونال (1735م) (Peyssonnel) فكتب يقول عن شيخها بوعزيز "...السلطان بوعزيز هو شيخ وطن الحنانشة الذي يقع على الحدود الجزائرية التونسية بنوميديا ويمتد حتى الصحراء، هو من بيتقديم مهابا في وسطه، وأخضع آخرين ،كان دائما يدفع بقوة الأتراك وهو غالبا في حرب ضد باي تونس أو باي

[1] - حول هذه الثورة يرجى الرجوع إلى :
-Adrien Berbrugger«Notes relative à la révolte de Ben Sakhri»,*RA*,10,(1866),pp,341-349
[2] -ابن أبي دينار، المصدرالسابق،ص.236.

قسنطينة كان قويا ويستطيع تجميع ثمانية آلاف فارس ويلقبه الحنانشة بالسلطان"[1].

أما في الدراساتالحديثة فالباحث التونسي العربي الحناشي وفي عمله الموسوم بـ "الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس من 1640-1740م" [2]أكد على دور أحرار الحنانشة في رسم الخريطة السياسية لتونس في عهد حكم الأسرة المرادية والحسينية من خلال حسمها في الكثير من المرات لمن يتولى منصب باي تونس الأمر الذي فتح لها – حسب الباحث- بابين الأول هو انخراطها في حروب طويلة لوزنها العسكريلنصرة طرف على آخر، أما الثاني هو مصاهراتبايات تونس لشيوخها مما ترتب عنه تولي بايات متقدمين أخوالهم الحنانشة، مثل مراد باي الثالث (1110هـ/1699-1113هـ/ 1702م).

هذا في الجانب السياسي أما في الشق الاقتصادي ومن عصارة البحث الذي أفردته للحنانشة فإنه تسنى لمجموعاتها التي توزعت عبر الحدود من تشغيل نظام متشعب ومتكامل لتبادل المنافع الاقتصادية خصوصا في ظل وجود آليات التواصل التقليدية القائمة على الحلف والمصاهرة، فساهمت في ربط البلاد الجزائرية والتونسية بالدورة الاقتصادية من خلال ارتباطها الوثيق بمراكز الإنتاج في الإيالتين هذه المراكز التي توزعت عبر محاور ثلاث هي : 1- منطقة الساحل بالشمال حيث شكل حصن الباستيون وطبرقة وجهة تجارية منفتحة على المتوسط لما كان يضمنانه من استقطاب فائض الإنتاج من جلود وصوف وشمع ...الخ 2- منطقة التل بالوسط التي امتدت من ضواحي قسنطينة إلى تبرسق بتونس وهي منطقة تميزت بنشاط فلاحي مستقر قام على زراعة الحبوب وبمجالات رعوية واسعة تنقلت عبرها مجموعاتها 3- منطقة الواحات بالجنوب أين شكل الزاب الشرقي وبلاد الجريد وجهة لمجموعاتها حيث يستبدلون ما ينتجونه من حبوب وقطران بالتمور والقماش. لقد تحكمت الحنانشة عبر هذه المحاور الثلاث في شبكة الطرق التجارية، حيث لعبت من خلالها دور محطات التموين على خطوط التجارة القوافلية وطريق الحج كما أن منظومتها الاقتصادية كانت متحركة لحركية مجموعاتها بين تونس والجزائر، هذا ورغم مشروع المركزة الاقتصادية الذي كان يتهددها من الجانبين(حكام الجزائر وتونس) والرامي إلى السيطرة على المجال كشرط أساسي لاحتكار المداخيل، رغم هذا إلا أن مشيختها سرعان ما انخرطت في تحالفات مع بايات تونس وقسنطينة من خلال مساهمتها في المحلات الفصلية التي كانت تجوب مختلف القبائل الحدودية قصد تحصيل الجباية الضريبية، وضمنت بذلك مشيختها أدوارا اقتصادية أبقتها ضمن معادلة السلطتين وفتحت لها قنوات لمداخيل مالية شبه قارة خاصة من جهة بايات تونس من تجلياتها الإحسانات[3].

---

[1]-Peyssonnel et Desfontaines ,*Voyages dans la régence de Tunis et Alger* .publié par M.Dureau de la Malle. Gide. Paris.1838,p.293

[2] - العربي الحناشي، الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس من 1640-1740م،شهادة الكفاءة في البحث ،جامعة تونس الأولى،1987-1988.

[3] - توفيق بن زردة، المرجع السابق، ص.129.

كل حناشي جدير بالإحسان:

لقد أكدت القوائم الطويلة للمستفيدين من الإحسان من جماعاتالحنانشة أنه شمل مختلف الفئات الاجتماعية ابتداء من شيخي الفرعين نصر ومنصر، وعائلتهما، وأصحاب وأعيان ومقربين لهما، وحنانشة من الرعية، ونساء حناشيات، وخدم وسيار، وموظفين، ودواير، والمحلات الفصلية التي كان يساهم بها الحنانشة في جمع الضرائب لصالح باي تونس، وحتى بعض الفروع القبلية للحنانشة مثل أولادبوقفة، وأولاد جليلي، وأولاد بوكف، مما يبين أن ذلك النوع من الإحسان لم يكن مركزا في فئة معينة دون أخرى، وإنما كان موزعا على أغلب الفئات.

فعن شيخي الفرعين لدينا الشيخ إبراهيم من فرع نصر الذي استفاد من ثلاث أوجه للإحسان إما أشياء عينية، أومبالغ مالية، أو ثمن هدية التي وردت في الدفتر بمسمى " حق برنوس" أو " حق سرج متموم "...الخ، فعن الأشياء العينية استفاد عام 1184هـ/1770م من زوج صنادق مجلدين، وزج قفاطن موبر، زوج برانس ملف بالفضة، زوج سراول كمخة، كباية موبر، وسرج متموم، أما ماديا فقد وجه له باي تونس مبلغ 923.4 ريال، وعن الوجه الثالث للإحسان لدينا مثلا حق برنوس بقيمة 68 ريال، أما الشيخ محمد بن سلطان من فرع منصر فتحصل مثلا عام 1175هـ/1761هـ على إحسانات عينية قدرت قيمتها بـ 310 ريال تمثلت في سرج وتسعة بنادق للتذهيب وأوقيتين ونصف فضة وثلاث أواق حرير، وركاب حرير واثني عشر بندقية للتذهيب.

وعن عوائل الشيخين لدينا الحاجة فاطمة من حنانشة الشيخ ابراهيم التي لم يشر الدفتر إلى هويتها هل كانت أمه ، عمته ، أم أخته ؟ حيث وردت عبارة " إحسان للحاجة فاطمة التي قدمت من عند الشيخ ابراهيم بن بوعزيز " لكن الشيئ المؤكد أنها من أهله، حيث أشار الدفتر إلى "الحراير والخدام " الذين قدموا معها إلى تونس حيث استفادت الحاجة فاطمة عام 1172هـ/1758م من مبلغ 500 ريال كمبلغ مادي، ومقياس ذهب بقيمة 272 ريال، وحق أشياء أخرى عينية بلغت قيمتها 185.3 ريال، وحتى "الحراير والخدام " الذين قدموا معها استفادوا من مبلغ 320 ريال، ولدينا تركية عمة الشيخ إبراهيم التي استفادت من 150 ريال، كما تحصلت " الحاجة " رفقة سديرة بن بوعزيز على مبلغ ضخم قدر بـ 1000 ريال[1]ولدينا حفيد شيخ الحنانشة بوعزيز وهو علي بن محمد بن طراد الحناشي الذي تحصل على مبلغ 100 ريال، وهذا ولد الشيخ محمد بن سلطان استفاد من سرج وأواق وأجزمة بقيمة 180 ريال، أما عثمان بن منصر وأخيه منصر أبناء

[1] - يذكر الأستاذ خليفة حماش أن آغا الانكشارية كان يأخذ خلال فترة توليه المنصب الذي يدوم فيه شهرين راتبا قدره 2000ريال دراهم صغار (Pataque Chiques)ويعني ذلك1000 ريال في الشهر وهو مرتب ضخم يمكن اعتباره ثروة مقارنة بالرواتب والأجور، يرجى الرجوع إلى : خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة منتوري ،قسنطينة،1427هـ/2006م، ص، 10

أخ الشيخ محمد بن سلطان استفادا من احسان بقيمة 50 ريالا .

أما عن الأصحاب والأعيان والمقربين لشيخي الحنانشة فلدينا محمد بن مبارك صاحب الشيخ محمد بن سلطان الذي تحصل على 20 ريال كإحسان، ولدينا رمضان الحناشي صاحب الشيخ إبراهيم الذي تحصل على مبلغ 30 ريال، ومبروك العطافي على 40 ريال، ولدينا محمد بن عمار الحناشي صاحب الشيخ محمد بن سلطان الذي تحصل على 60 ريالا تعويضا عن فرس ماتت له، والتي يبدو أنها ماتت وهو في طريقه إلى تونس، ولدينا احمد بن زروق وبوغرارة وبوقفة وخالد وعبد الله وسايح ومنصر أصحاب نفس الشيح وزع على كل واحد 10 ريالات، وحتى أصحاب ابن الشيخ بدورهم تحصلوا على مبالغ مالية بعد تنقلهم رفقته إلى تونس فلدينا بوغرارة وعلي بن مبارك الرياحي أصحاب ولد الشيخ إبراهيم تحصلوا على 51 ريالا، أما عن الأعيان فلدينا شيوخ فروع قبلية لمجموعات الحنانشة مثل الشيخ علي بن بوعكازالحناشي الذي لم يذكر اسم الفرع القبلي الذي يتولاه، واكتفى المدون بلفظ شيخ، حيث تحصل على 60 ريالا حق زوج برانس أمر باي تونس بخياطتهم، وعن المقربين من الشيخ ابراهيم لدينا محمد بن جلاب وولديه خليفة ومحمد بوزيان تحصلوا على مبلغ 30 ريالا ومحمد النميلي الذي ورد اسمه أكثر من مرة الذي تحصل على أكثر من 150 ريالا[1] .

هذا ويبدو جليا أن باي تونس كان حريصا على ربط صلاته بكل فئات الحنانشة المتبقية حتى وإن كانوا لا يشغلون وظائف أو يتقلدون مناصب أو تربطهم صلات بالشيخ وحاشيته، وقد وقفنا في هذا الصدد على عدة نماذج أذكر منها، ثلاثة حنانشة استفادوا من إحسان بلغ 30 ريالا عندما قدموا إلى تونس لمداوات عيونهم، و 20 ريالا لسعيد ومن معه من الحنانشة قدموا لمصالحهم بتونس، و80 ريالا لثمانية حنانشة قدموا لأجل صنع طابع .

ولم يستثني بايات تونس "الحناشيات" من الإحسان فلدينا امرأةحناشية عرفها المدون في الدفتر بـ " عيال فرحات " أي زوجة فرحات تحصلت على 10 ريالات، وإحسان لابنة بعوشالحناشي بقيمة 10 ريالات، وإحسان لزوج نسوة عبدة والحاجة أم النور بقيمة 70 ريالا، وإحسان بقيمة30ريالا لرقية الحناشية أخت أحمد الغر، وإحسان للحاجة شوشانة50 ريالا[2] .

في فئة الخدم كنا قد ذكرنا آنفا هذه الفئة التي قدمت مع الحاجة فاطمة الحناشية إلى تونس حيث استفادوا إلى جانب " الحراير" على إحسان بقيمة 320 ريال، وهناك أمثلة أخرى مثل الخادمين اللذين تحصلا على 10 ريال، و10 ريالات أخرى كانت من نصيب خليفة خديم علي مزغيش، و40 ريال لأربعة أنفار خدام

[1] - الدفتر الإداري والجبائي :رقم 2144،(أ. و. ت).

[2] -المصدر نفسه

الشيخ محمد بن سلطان[1].

فيما كانت الفئة التي تشغل وظيفة سيار هي التي كانت تتحصل على إحسان بشكل دوري ومنتظم، هذه الوظيفة التي يقوم فيها صاحبها بحمل رسائل شيخ الحنانشة إلى باي تونس، ومن هذا الأخير إلى شيخ الحنانشة، ومنه كان لها الحظ الأوفر في الحصول على الإحسان، ويظهر أن شيخ الحنانشة كانت تربطه أكثر من مصلحة مع تونس كونه كان يرسل في الكثير من المرات أكثر من سيار، حيث وصل عددهم في حالة سجلناها في الدفتر بلغوا ثمانية عشر نفر، حيث تحصل السعيد بن بوزيان على ثلاثين ريالا والباقي لكل منهم خمسة وعشرون ريالا، وفي حالة أخرى بلغت قيمة الإحسان 225 ريال وزع على اثني عشر نفر "سيارت" الشيخ ابراهيم، وفي الكثير من المرات كان المدون في الدفتر يحرص على ذكر أسماء سيارت الشيخ الذين تحصلوا على إحسان، فلدينا مثلا بن الغضبان ومحمد بن رابح ومحمد بن المسعي سيارت الشيخ محمد بن سلطان وزع على كل واحد 10 ريالات، وعبدة ومحمد بن احمد بن الحاج وبوعلاق وعبد الله بن الحفصي سيارت الشيخ ابراهيم لكل واحد 10 ريالات، وأحيانا يدون فرد واحد من سيارت الشيخ ثم يضاف لها عبارة " ومن معه"مثل حالة محمد بن الحاج ومن معه سيارت الشيخ إبراهيم تحصلوا على 40 ريال، و فرحات وثلاثة أنفار معه سيارت الشيخ محمد بن سلطان تحصلوا على 20ريال، وفي أحيان أخرى يكتب لفظ "أنفار" فقط دون الإشارة إلى أسمائهم مثل إحسان بـ 20 ريال لزوج أنفار سيارت الشيخ إبراهيم، و إحسان بـ 10 ريال لزوج أنفار سيارت محمد بن سلطان لكل منهم 05 ريال[2] .

ودائما في فئة الموظفين لدينا السايس والقائد وكاتب شيخ الحنانشةممن كانوا يستفيدون بدورهم من الإحسان، وقد وجدنا أنفسنا نطرح تساؤلا حول علاقة السايس بالإحسان كونه بعيدا عن اتصاله المباشر بباي تونس ودوره ينحصر في تربية ورعاية الخيل وتثبيت ركاب (سرج) شيخ الحنانشة عندما يهم بامتطاء فرسه ؟ في الواقع وجدنا إشارتان في الدفتر قد تجيبانا عن هذا التساؤل، تمثلتا في عينة احتكاك مباشر تمت بين سايس شيخ الحنانشة وباي تونس، الأولى مثلها سايس الشيخ إبراهيم الذي تحصل على إحسان قدره 10 ريال عام1184هـ/1771هـ نضير إحضاره فرسا كهدية لباي تونس، والثانية لسايس نفس الشيخ وهو بوغمرة الذي تحصل على 15 ريالا لأنه بدوره أحضر فرسا للباي، ويظهر أن هدية الفرس التي كان يقدمها أحرارالحنانشة لباي تونس قد لقيت تجاوبا من قبل الباي الذي كان يكافئ سايس الشيخ بالإحسان كونه الراعي المباشر لهذا النوع من الهدايا[3].

أما عن القائد وكاتب شيخ الحنانشة فلدينا قطمان التركي قائد الحنانشة في فرع الشيخ إبراهيم الذي

---

[1]- المصدر نفسه.

[2] - المصدر نفسه.

[3] -المصدر نفسه.

استقبل إحسان بقيمة 170 ريال، وفي نفس الفرع وعندما كان قاصدا الحج مرورا بتونس تحصل القائد حسين على 100 ريال تقاسمها مع العابد بن قرون الحناشي الذي يظهر أنه كان رفيقا له نحو الحج، والواقع أن هذه المبالغ المعتبرة التي كانت من نصيب هذه الفئة تعود لعامل الصلة القوية التي جمعت بين قواد الحنانشةوبايات تونس، كون هؤلاء البايات كان يشد أزرهم في الكثير من الحروب التي خاضوها قواد الحنانشة، ويحدثنا ابن أبي دينار صاحب كتاب المؤنس عن القائد علي الحناشي الذي كان سندا قويا للباي حمودة باشا (1040هـ/1631م –1076هـ/1666م)ابن مراد باي مؤسس الأسرة المرادية، حيث كان علي الحناشي يده الضاربة التي أخضع بها الكثير من القبائل المستعصية، منها أولاد شنوف في ما بين1045هـ/ 1636م – و1047هـ/1637م التي ولى عليها مملوكه القائد علي الحناشي الذي كانت فيه فروسية[1]. هذا عن القواد أما عن كتاب شيخ الحنانشة فلدينا محمد بن بوزيان كاتب الشيخ ابراهيم الذي تحصل على احسان بقيمة 40 ريال، ونفرين كتاب الشيخ ابراهيم تحصلا على 60 ريال، والسعيد بوزيان كاتب الشيخ تحصل على 20 ريال .

أما قوات الداوير[2]التي أكد الدفتر على وجود مثل هذا التنظيم بمجموعات الحنانشة، فبدورها استقبلت إحسان باي تونس، حيث خصص لهذه الفئة صفحة خاصة في الدفتر بعنوان الدايرة نذكر منها خمسة عشر نفر دواير كانوا رفقة الحناشية الحاجة أم سديرة، تحصل كل واحد فيهم على 15 ريالا، و15 ريال للزين بولغات، 15 ريال لنصر بن حشحوش، 15 ريال لعلي الأبيض ولد الحاج علوان، 15 ريال لصحراوي بن جدو. ونفس الشيئ بالنسبة لقوات المحلة الفصلية التي كان يساهم بها الحنانشة إلى جانب قوات باي تونس قصد تحصيل الضرائب من القبائل، حيث استقبل فرسانها بدورهم احسان من قبل الباي، فسجلنا مثلا 40 ريالا إحسان لمحلة الشتاء، و40 ريال أخرى إحسان للحنانشة لمحلة الشتا، و25 ريال لخمسة أنفار حنانشة لمحلة الشتاء[3] .

في الأخير وعن الفروع القبلية للحنانشة والتي أخذت بدورها حظها من هذا الإحسان فلدينا 30 ريال كإحسان لأحمد بن نصيب الحناشي من أولاد جليلي، و40 ريالا إحسان لزوج حنانشة من أولاد بوقفة، و30 ريال لأحمد بن مبارك الحناشي من أولاد بوكف، كما رصدنا حالة عبد القادر لحناشي الذي يبدو أنه كان يشتغل في القضاء لأنه اقترن اسمه بـ " العدل الضرير" حيث تحصل على 15 ريالا كإحسان[4].

---

[1]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص،236.

[2]- الدواير تنظيم عسكري وإداري أنشأه الأتراك قصد مراقبة السكان والحيلولة دون اندلاع ثورات قد تهدد تواجدهم ونتيجة لذلك وزعت قبائل مخزنية في الأطراف كي يصبح نشاطها أكثر فاعلية وملموس في جميع النقاط وحول الدواير يرجى الرجوع إلى :

احمد سيساوي، النظام الإداري بباياك الشرق 1771-1830م، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة 1988،ص،ص،44،43

[3] - الدفتر الإداري والجبائي :رقم 2144،(أ. و. ت).

[4] -المصدرنفسه.

جدول رقم –03–إحسانات(هدايا) عينية قدمها باي تونس لشيخ الحنانشةإبراهيم بن بوعزيز

1174هـ/1760م– 1187هـ/ 1773م

الإحسان (الهدية)	قيمته/ الريال	التاريخ
أربعة سروج	503	ربيع الأول 1174هـ/1760م
برنوس	68	ذو الحجة 1174هـ/1760م
ركاب للسرج	95	ربيع الأول 1175هـ/1761م
سرج متموم ميزان رطلين وثمانية أواق، وتسع بنادق للتذهيب	249	رمضان 1175هـ/1761م
ركاب حديد وستة بنادق للتذهيب	75	نفس التاريخ
300حمل تمر ولأصحابه عشرين حمل تمر وسبعة عشر ؟ زيت قفصي وسبعة قناطر صابون	1546	شعبان1177هـ/1764م
رطل واحد وأوقيتين مجره لزناد	73	جماد الثاني1177هـ/ 1764م
زوج صنادق مجلدين، زوج قفاطنموبر،زوج كبايات موبر ومثلهم فرامل ومثلهم حدادي، زوج برانس ملف بالفضة، زوج سراول كمخة ، أربع صنادق مجلدين، سرج متموم	لم يذكر الثمن	جماد الثاني 1184هـ/ 1768م
300حمل تمر من الجريد عادة الشيخ	923.4	شوال1185هـ/ 1767م
سرج متموم ستارة مطروز	لم يذكر الثمن	ذو القعدة1185هـ/ 1767م
سرج متموم، مجزمةويلاسكة، قفطان موبر، كباية موبر، سروال كمخة، جرملة كمخة، صردية كمخة، برنوس ملف	108.9	ذو الحجة1187هـ/ 1773م

جدول رقم –04–إحسانات (هدايا) عينية وزعها باي تونس على حناشيات وولد الشيخ إبراهيم

1172هـ/1758م – 1179هـ/ 1765م

الاحسان	قيمته/الريال	المستفيد	السنة

مقياس ذهب بالحجار ميزانه ثلاثين مثقال	272	الحاجة فاطمة	رجب1172هـ/1758م
زوجين حدايد مجره صغار ميزانهم أوقية وثمن	46.3	الحاجة فاطمة	نفس التاريخ
زوج سفاسر حرير بالفضة كبار	60	الحاجة فاطمة	نفس التاريخ
ثلاث سفاسر حرير بالفضة	54	الحاجة فاطمة	نفس التاريخ
زوجين سياط بالفضة	16	الحاجة فاطمة	نفس التاريخ
اثني عشر اوقيه مجره	45	ولد الشيخ ابراهيم	ربيع الثاني 1179هـ/ 1765م

جدول رقم –05–إحسانات(هدايا) عينية قدمها باي تونس لشيخ الحنانشة محمد بن سلطان 1175هـ/1761م

الإحسان (الهدية)	قيمته/ الريال	التاريخ
سرج وعزار	08	ربيع الأول1175هـ/1761م
رطلين واثني عشر أوقية ونصف فضة	118	نفس التاريخ
تسعة بنادق للتذهيب وزواق	60	نفس التاريخ
أوقيتين ونصف فضة وثلاثة أواق حرير كسوة الدين والعزار	23	نفس التاريخ
ركاب حرير واثني عشر بندقية للتذهيب	95	نفس التاريخ

جدول رقم –06– إحسانات (هدايا) عينية قدمها باي تونس لولد الشيخ محمد بن سلطان1175هـ/1761م

الاحسان	قيمته/الريال	المستفيد	السنة
سرج سقطه ثلثي زنته ثلاثة أرطال وستة أواق وأجزمة	180	ولد الشيخ	صفر 1175هـ/1761م
أوقيتين ونصف فضة، كسوة الدين والعزار وحرير وأجزمة	18	ولد الشيخ	نفس التاريخ

الإحسانات بين فرعي نصر منصر:

أصبح انقسام مشيخة الحنانشة إلى فرعين مع الوقت واقع فرض نفسه في تعامل بايات تونس معهما عند توزيع الإحسانات[1]، حيث توزعت هذه الإحسانات بين الفرعيين فاسمين مختلفين، فجاءت إحسانات الشيخ ابراهيم ابن بوعزيز من فرع نصر في الصفحة الأولى بعنوان " الخارج إحسان لحنانشة ابراهيم " وفي الصفحات اللاحقة من الدفتر لهذا الفرع استهلت ببعض العبارات نذكر منها " كمال إحساناتحنانشة ابراهيم " أو " كمال إحساناتالحنانشة متاع الشيخ ابراهيم " أو " كمال إحساناتالحنانشة أصحاب ابراهيم " أو " كمال إحساناتالحنانشة وهم قوم الشيخ ابراهيم " أما إحسانات الشيخ محمد بن سلطان من فرع منصر فجاءت بعنوان " الخارج لحنانشة محمد بن سلطان " ، وفي بداية كل صفحة لإحسانات هذا الفرع حددها المدون بعبارة "كمال إحسانات محمد بن سلطان "[2] .

لقد بلغ مجموع الإحسانات التي وزعها باي تونس على فرع الشيخ إبراهيم في الفترة الممتدة مابين1170هـ/1756م – 1190هـ/1776م ما قيمته 25090 ريال، أما مجموعها الذي وزع على فرع الشيخ محمد بن سلطان في الفترة الممتدة مابين1173هـ/ 1759م – 1192هـ/ 1779م، فقدر بـ 6265ريال.

والواقع أن هذا الفارق الصارخ في توزيع الإحسانات بين الفرعين إنما يعود بالدرجة الأولى إلى السياسة التي درج عليها بايات تونس في تعاملهم مع المشيختين حيث كثيرا ما كانوا يناصرون طرف على آخر، وعندما يشتد عود الطرف الذي يناصرونه يسارعون إلى مناصرة الفرع الآخر الذي أخذ يهزل ويتراجع[3]، وهو ما يفسر لنا غلبة فرع نصر في هذه الفترة على فرع منصر في حجم الإحسانات.

لقد تسنى لأتراك تونس من خلال هذه السياسة من صون حدودهم الغربية مع الجزائر، وتجنب خوضهم لصراع مع أقوى الجماعات القبلية التي تعيش على أطرافها الغربية وبالتحديدالحنانشة، وقد كانت الإحسانات أحد أهم الآليات لاستمالة هذه الجماعات، ثم تغليب طرف على آخر، ولتقديم صورة أدق عن نسبة توزيع هذه الإحسانات بين الفرعين ترجمناها في منحنى بياني هذه تفاصيله:

منحنى بياني بتوزيع الإحسانات بين فرعي الحنانشة نصر ومنصر

1170هـ/1756 –1192هـ/ 1778م

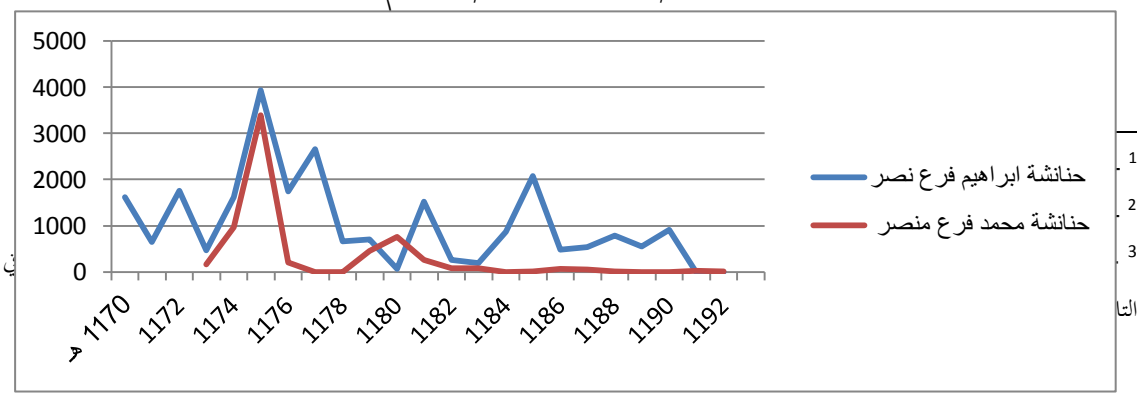

لقد حرص بايات تونس كما أسلفنا أن تمس الإحسانات الموجهة للفرعيين مختلف فئاتهما، فسجلنا أن الإحسانات شملت الشيخ وولده، وأصحاب ومقربين لهما، ونساء للشيخ ولمقربيه، وخدم، وكتاب، وسايس، وسيار، والقائد، وفرسان في المحلات، والدوايرر، ورعايا حنانشة.

وقصد ملامسة هذه الفئات من الفرعين بشكل مركز قصد معرفة القيم الحقيقية التي كانت من نصيبها حاولنا تقسيمها إلى مجموعات رئيسية،انطلاقا من مهام كل مجموعة داخل مؤسسة الشيخ، والرابطة الدموية ضمن حيز قبيلة الحنانشة، كون النظام القبلي يقوم بشكل أساسي على هذه الرابطة التي يبدو أن أقوى حلقاتها تجسدت في ابن الشيخ وأضعفها في حناشي ينتمي فقط إلى قبيلة الحنانشة، وقد وصلت في ذلك إلى تحديد خمسة فئات كبرى هي :

الفئة الأولى: وهي الفئة التي جمعت **الشيخ وأولاده**، فهذه الفئة استقبلت خاصة هدايا عينية وحظيت بمعاملة خاصة من قبل بايات تونس، كون الشيخ يمثل رأس هرم مؤسسة المشيخة فيما أولاده سيكونون يوما ما على رأس هذه السلطة.

الفئة الثانية: جمعت أعيان ومقربين من الشيخ وأصحابه وأصحاب أولاده، وحتى أفراد يبدو من الدفتر أنهم لم يكونوا يحملون أية صفة سوى أنهم حنانشة قدموا إلى تونس لقضاء حاجات خاصة، مثل حالة الأفراد الذين قصدوا تونس قصد مدوات عيونهم، وقد أطلقت على هذه الفئة تسمية **حناشي**.

الفئة الثالثة : ضمت هذه الفئة نساء من زوجات الشيخ و أقاربه، وأخوات وزوجات لمقربين له، و حريم تنقلوا إلى تونس رفقة نساء الشيخ و لمقربين له، و أطلقت على هذه الفئة تسمية **حناشيات**.

الفئة الرابعة: فيها كل **الخدم والموظفين** الموجودين في مؤسسة الشيخ مثل الكاتب والسايس وأهمهم على الاطلاق السيار الذي يتنقل بشكل دوري إلى بلاط باي تونس لتبليغ أو استلام رسائل، الأمر الذي سمح له باستلام مبالغ مالية هامة.

الفئة الخامسة : وهي فئة **القوات العسكرية** من قواد ومحلات فصلية ودوايرر، كونها فئة كانت إلى حد ما ضمن حسابات بايات تونس، لما كانت تشكله من قوة ضاربة لمجموعات الحنانشة .

هذا عن الفئات التي توصلناإلى تصنيفها، أما ما وزع عليها كإحسانات في الفرعيين فحوصلنا نتائجه في الجدولين التاليين :

جدول رقم – 07– توزيع الإحسانات حسب الفئات في فرع نصر1170هـ/ 1756م – 1190هـ/1776م

السنة	الفئة الأول: الشيخ وأولاده		الفئة الثانية: حناشي		الفئة الثالثة: حناشيات		الفئة الرابعة: خدم وموظفين		الفئة الخامسة: القوات العسكرية	
	القيمة ريال	النسبة %	القيمة ريال	النسبة %	القيمة ريال	النسبة %	القيمة ريال	النسبة %	القيمة ريال	النسبة %
1170هـ	100	6.17	376	23.20	100	6.17	979	60.43	65	04.01
1171	00	00	218	33.48	10	1.53	232	35.63	191	29.33
1172	00	00	241	9.31	1277	49.34	1070	41.34	00	00
1173	00	00	165	35.10	150	31.91	155	32.97	00	00
1174	571	36.98	437	28.30	20	1.29	516	33.41	00	00
1175	648	16.46	459	11.66	1232	31.30	1271	32.29	325	8.25
1176	00	00	810	46.55	00	00	690	39.65	240	13.79
1177	1546	58.25	863	32.51	00	00	245	9.23	00	00
1178	73	10.54	199	28.75	10	1.44	410	59.24	00	00
1179	00	00	175	24.75	57	8.06	475	67.18	00	00
1180	00	00	35	53.84	00	00	30	46.16	00	00
1181	00	00	910	60.06	00	00	605	39.94	00	00
1182	00	00	165	64.70	00	00	90	25.30	00	00
1183	00	00	166	86.91	00	00	25	13.09	00	00
1184	500	36.49	325	23.72	10	0.72	535	39.05	00	00
1185	923	44.43	638	30.71	00	00	396	19.06	120	5.77
1186	00	00	90	18.55	00	00	395	81.44	00	00
1187	00	00	335	62.61	00	00	200	37.39	00	00
1188	00	00	335	42.67	00	00	450	57.33	00	00

1189	00	00	10.13	30	00	00	89.87	266	00	00
1190	00	00	28.96	265	00	00	71.04	650	00	00
المجموع	**4361**	**17.38**	**28.84**	**7237**	**11.42**	**2866**	**38.60**	**9685**	**03.75**	**941**

جدول رقم – 08– توزيع الإحسانات حسب الفئات في فرع منصر 1173هـ/ 1759م/ 1192هـ/ 1778م

السنة	**الفئة الأول: الشيخ وأولاده**		**الفئة الثانية: حناشي**		**الفئة الثالثة: حناشيات**		**الفئة الرابعة: خدم وموظفين**		**الفئة الخامسة: القوات العسكرية**	
	القيمة ريال	**النسبة %**	**القيمة** ريال	**النسبة %**	**القيمة** ريال	**النسبة %**	**القيمة** ريال	**النسبة %**	**القيمة** ريال	**النسبة %**
1173هـ	00	00	00	00	00	00	159	100	00	00
1174	00	00	80	11.56	00	00	612	88.44	00	00
1175	812	23.93	899	26.49	00	00	1682	49.57	00	00
1176	00	00	20	10	00	00	180	90	00	00
1177	00	00	00	00	00	00	00	00	00	00
1178	00	00	00	00	00	00	00	00	00	00
1179	00	00	205	44.75	00	00	253	55.25	00	00
1180	00	00	440	58.27	00	00	315	41.73	00	00
1181	00	00	205	77.35	00	00	60	22.65	00	00
1182	00	00	55	75.34	00	00	18	24.66	00	00
1183	00	00	80	81.63	00	00	18	18.37	00	00
1184	00	00	00	00	00	00	00	00	00	00
1185	00	00	15	100	00	00	00	00	00	00
1186	00	00	50	83.33	00	00	10	16.67	00	00
1187	00	00	25	55.55	00	00	20	44.45	00	00
1188	00	00	00	00	00	00	10	100	00	00
1189	00	00	00	00	00	00	00	00	00	00

1190	00	00	00	00	00	00	00	00	00	00
1191	00	00	00	00	00	100	30	00	00	00
1192	00	00	00	00	00	100	12	00	00	00
المجموع	**812**	**12.96**	**2116**	**33.77**	**00**	**00.00**	**3337**	**53.26**	**00**	**00.00**

خاتمة :

يعد السجلين الإداريين رقم 2144، 2145 الموجودين بالأرشيف الوطني التونسي أحد أهم حلقات الأرصدة التاريخية التي تكشف عن واقع العلاقات الجزائرية التونسية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي من خلال قوائم طويلة بالهدايا التي جاءت بمسمى إحسانات، كان يقوم كل من بايي تونس محمد (1170هـ/1756-1172هـ/1759م) ومن بعده علي باي (1172هـ/1759م- 1196هـ/ 1782م) بتوزيعها على جماعات الحنانشة التي كان يمتد نفوذها على أطراف الايالتين.

لقد أخذت هذه الإحسانات طابع العرف الديبلوماسي الذي درج عليه بايات تونس في تعاملاتهم مع هذه الجماعات الحدودية، قصد إذهاب الخطر واستجلاب المودة معها، وإشعارا بالتقدير والاحترام لها، وإثباتا للتحالف مع شيوخها، وإن كان عنصر التفرقة بين فرعي مشيختها نصر ومنصر بدا واضحا في حجم توزيع هذه الإحسانات بين الفرعين، حيث كان في هذه المرحلة نصيب فرع نصر وشيخه ابراهيم ابن بوعزيز أوفر من فرع منصر وشيخه محمد بن سلطان، لذلك شكلت قيم هذه الإحسانات مؤشر قوي نقيس به حجم علاقات بايات تونس مع أحد الفرعين هل هي في فتور أم في أوج صلاتها ؟.

كما أكد الدفترين على ذلك الحراك الاجتماعي الذي كان قائما بين الايالتين من خلال تردد فئات الحنانشة على تونس قصد تلبية حاجياتهم مثل العلاج، واقتناء بعض المستلزمات، والقيام بزيارات لبعض الأضرحة، مما جعل من هذه الجماعات بحكم بعدها الجغرافي ووضعها الحدودي عامل توافق اجتماعي بين الجزائر وتونس خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي.